مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-41X
مجلد: 08 عدد: 01 السنة: 2022 E-ISSN:2588-2325

التطبيب الشعبي ذهنية ومعتقد وممارسة أجيال بالمجتمع الجزائري - دراسة أنثروبولوجية-

Folk medicine is the mentality, belief and practice of generations in Algerian society-Anthropological study-

فاروق بولبير*. مخبر علم النفس العصبي و الاضطرابات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، boulbir.farouk@univ-ouargla.dz
عبد الله كبار، جامعة غرداية، abdallah.kebbar@hotmail.com

تاريخ الإرسال: 2021 /06/28 تاريخ القبول: 2021/12/23 تاريخ النشر: 2022/06/15

ملخص:

لكل مجتمع معارف ومكتسبات معبرة عن موروث ثقافي يلامس معالمه وآثاره المادية والمعنوية المعبرة عن معتقدات وأفكار وذهنية ممارسيه في ذلك الزمن، والطب الشعبي بالجزائر له محطات وإثنيات اشتركت في تراث ثقافي وأنظمه شعبية بها طقوس وممارسات نباتية وحيوانية أو غيبية وسحرية لعلاج أمراض كالعقم وتأخر الزواج والكسور والإلتواء ولدغات الأفاعي والعقارب، ووصفات شعبية تعد مكاسب ثقافية محافظة على صحة المجتمع عبرت عنها بمرور الزمن عوامل الشفاء التي يقدمها المطبب الشعبي للباحث عن الصحة. فيما يقدم من أشكال ورموز وطقوس وأساليب بدائية شافية في أغلبها بشكل ملفت للانتباه، وغريب بشكله الشعبي والثقافي الذي يفتقر لمبادئ العلم بوجود الطب الأكاديمي. حيث اعتبرها الأجانب علمًا وفنًا شعبيًا بمجتمع فلكلوري من جميع النواحي، فكان هذا المضمون الذهني العميق بمثابة ظاهرة أنثروبولوجية لها دلالاتها الخفية وأسبابها المكنونة في صدور مبحوثي مجتمع دراستنا والتي استدعت منا التطرق لما يحمله المجتمع من خفايا حول ثقافة علاجية تفرض استمرارها مع كل جيل.

الكلمات المفتاحية: الطب، موروث، معتقد، ثقافة، شفاء.

* المؤلف المرسل.

Abstract:

Every society has knowledge and gains that express a cultural heritage that touches its physical and moral features and effects that express the beliefs, ideas and mentality of its practitioners at that time, and folk medicine in Algeria has stations and ethnicities that participated in cultural heritage and folk systems with rituals and practices of plants and animals or metaphysical and magical to treat diseases such as infertility, delayed marriage and fractures Sprains, snake and scorpion bites, and folk recipes are cultural gains that preserve the health of society, expressed over time by the healing factors presented by the folk healer as a phenomenon that called us to address the therapeutic culture that society holds that imposes its continuation with each generation.

Keywords: medicine, inherited, Believes, culture, healing.

مقدمة:

إن الطب الشعبي بالجزائر ثقافة صحية تعارف عليها المجتمع منذ زمن بعيد، وتناقلتها أسر عُرِفت بممارساتها العلاجية التي أثبتت فاعليتها في تطبيب أمراض الناس ونالت شهرتها بين أفراد المجتمع، وبقيت جنبا إلى جنب الطب الأكاديمي في أشكال علاجية كانت محل سخرية من الأكاديميين الأجانب في فترات استعمارية إلا أن الزمن أثبت نَجَاعَتَهَا في التصدي للعديد من الأمراض، وذلك ما تشهده الدراسات والكتب والمعالم التاريخية الصامدة في ثقافة الناس الذهنية والعملية، وكذلك ممارسي العلاج الشعبي بأشكاله لدى إثنيَات المجتمع المحافظة على التراث، والأساطير التي مارسها الإنسان البدائي حفاظًا على نوعه البشري، لذلك بحثنا بميدان دراستنا عن أسباب استمرار ثقافة التطبيب وممارساته بالمجتمع الجزائري من خلال ما يلي:

1- مدخل أنثروبولوجي للطب الشعبي والثقافة الصحية بالجزائر:

1.1 - الطب الشعبي في الجزائر:

يقول "هنري سيجر جست" في كتابه تاريخ الطب: " اتضح من الدراسات الحديثة أن الطب القديم نشأ عن مجموعة معلومات دينية وطبية امتزجت وكونت الطب البدائي، وأن هذا الطب البدائي ما لبث أن تشعب إلى ثلاث شعب متباينة هي: الطب الروحاني، الطب الديني، الطب الشعبي حيث حصل هذا التشعب أو الانقسام منذ أزمنة (غاية في القدم)، أما أول من استنبط "الطب" فهو

مختلف فيه، فمنهم من يقول بأنهم (المصريون) والبعض القليل يقول بأنهم (الصينيون) أو (الهنود أو الفرس) . (العربي، 2020، ص 14)

إن هذا الاختلاف في نسب الآراء بالدراسات والإكتشافات حول الطب البدائي إلى مختلف الحضارات تعني أن أول إنسان بهذا العالم الذي نعيش فيه صارع وعانى من الألم وويلات الطبيعة التي تسببت له في إحداث ما يعيق جسده عن أداء وظائفه الطبيعية، وهو كذلك بالنسبة للمجتمع الجزائري إذ أن بحثه فيها ساعده للنجاة إمَّا بتقليد الحيوان، وما يفعله حين يمرض أو ابتكر طرق بيئية وغيبية مليئة بتجارب تطبيب من الواقع منها الطبيعية وأخرى ملامسة للخرافة، اعتُقِد فيها القدرة على شفائه كالطَّابوهات المحرمة والسِّحر وغيرها ما يعني أن الإنسان الأول بالعالم ترك من ورائه موروثَهُ الثقافي وتناقلته مع مرور الزمن الأجيال، وبقي متداولا في ممارسات الناس وأذهانهم وكتاباتهم حتى وصل إلينا.

وفي هذا الصدد نجد أن تاريخ الطب الشعبي يرجع إلى زمن كانت الطبيعة فيه هي المستودع الأول لكلٍ من الإنسان والحيوان باستغلال مكوناتها العشبية للوقاية من الأمراض فهي مزودة بكميات كبيرة من الأدوية، ولا شك أنه عن طريق الملاحظة والتجربة والمحاولة والخطأ تكونت الطبيعة العلمية للطب الشعبي، وإن كان الطب الشعبي يتضمن بعض الخرافات فلا شك أن سبب استمرارها يرجع إلى أنها جزء من التراث من ناحية ومن ناحية أخرى نظرا لما توفره لممارسيها من طمأنينة وراحة نفسية، حيث تنحدر المعارف التي تكون الطب الشعبي من إطار الثقافة الشعبية، وليس من إطار الطب الحديث.، ويرى (سوليبان) أن الطرق البدائية تعيش جنبا إلى جنب مع الوسائل الحديثة وكثير من الحضريين ما زالوا يعتقدون في الطب الشعبي وفي ذلك دلنا نبيل صبحي في مقاله على أن الطب الشعبي هو طب الرُّكَّة. (الجوهري، 2009، ص ص 80-79)

2.1- الثقافة الصحية:

يشير الدكتور محمد غنيم إلى أن الثقافة والوعي الصحي بأي مجتمع هو تمكنه من معرفة ما تحمله بيئته من أعشاب طبية تساهم في تطبيب أمراضه، بعدة ممارسات تحمل وصفات علاجية تستخدم لفائدة مختلف شرائح أي مجتمع في شكلها الثقافي، وهو بذلك يحمل مضمون ثقافة التطبيب بأي مجتمع، ويرى كذلك" أنه من المؤلم أن الأعشاب الطبية تنتشر في كل مكان، والناس يعانون من الأمراض، ويجهلون الكثير عن مواد بيئتهم، وما يزيد من صعوبة الأمر عدم وجود مصطلحات مشتركة للأعشاب فكل بيئة اجتماعية تسمي العُشبة إسمًا محليًا يختلف عن المنطقة الأخرى".(غانم، 1983، صفحة 5)

إن الطب الشعبي كان الوسيلة الوحيدة للتداوي في الماضي، فحينما يمرض النَّاس أحيانًا لا يزورون الطبيب، وبدلاً من ذلك يعالجون أنفسهم بأنماط من العلاج تعلموها واكتسبوها من والديهم أو أجدادهم، ومنذ (عام 1800م) استخدم بعض المعالجين لعلاج مرضاهم ما يسمى اليوم بالطب الشعبي، فوصفوا قائمة من الأمراض وطرق علاجها، ومن بين هذه الأمراض احتقان الزور والبرد الذي وصف له أن يقدم للمريض شراب مصنوع من جذور الفجل الحار والسكر، أما علاج الأسنان فيوضع خليط من روح الكافور وزيت القرنفل وفص الثوم على قطعة من القماش وتربط على وجه المريض.(الجوهري، 2009، ص ص 80-79)

وفي ضوء هذه المعطيات نجد أن المجتمع الجزائري قد امتلك من التراث المعرفي التقليدي لعلاج الأمراض ما مكنه من الحفاظ على كيان مجتمعه على مر العصور، ومن خلال هذا الطرح كان لمجتمعنا محطات ومشاهد مع الطب الشعبي وكانت كالآتي:

2- محطات تاريخية حول ممارسة التطبيب الشعبي في الجزائر:

يطلعنا"محمد الحاج"أن الطب عند العرب كان بسيطًا وبدائيًا ويستند أكثره على المتعارف عليه في استعمال التعاويذ والتمائم، وتناول المواد الخام القريبة من الأيدي كالأعشاب الصحراوية وأبوال الإبل إذ أنهم توصلوا إلى المعلومات الطبية بالمشاهدة والتجربة، فعرفوا بعض الأمراض بالمقارنة بمواشيهم أو صحاريهم من تغيرات مألوفة كمرض الجدري والحصبة والطاعون وغير ذلك. (العربي،البيئة والأوبئة في التراث الطبي الإسلامي، 2020، ص 14)

وفي هذا الموضع يحدثنا ك. إبراهيمي أن دراسة إنسان مشتى العربي وهو إنسان ما قبل التاريخ بالجزائر وهو كذلك اسم موقع بين (سطيف وقسنطينة بالجزائر)، وكذلك حفريات بمنطقة تافورالت (المغرب الأقصى) وكلومناطة (تيارت)، قد كشفت أن إنسان مشتى استغل موارد الطبيعة كالعنبيات البرية والجذور والنباتات المغذية لحماية نفسه، إلا أن ذلك الغذاء الطبيعي لم يمنع عنه المرض لأن دراسة التشوهات للهياكل العظمية التي وجدها المنقبون والباحثون سمحت بتحديد أمراض أصيب بها الإنسان البدائي بالجزائر مثل: مرض المفاصل وتسوس ودمالات الأسنان والكساح وسل العظام، كما أنه لوحظ ندرة انكسار العظام وكثرة تشقق الفقرات ما دل على حياة الهدوء والاستقرار.

وذلك لم يخلو من وجود معتقدات للإنسان الجزائري قبل التاريخ، والتي في مضامينها هي ممارسات طبية عبر مراحل نموه، وهي على سبيل المثال أنهم كانوا يمارسون عند البلوغ عادة قلع الأسنان في قواطع الفك العلوي ولعلهم يمارسونها كطقوس للانتقال من مرحلة المراهقة إلى سن الرجولة، وكذلك صبغ الجسم للتزين وكذلك وضع العقود والنوط والحروز فاستعملوا قواقع لكي

يسهل خيطها وتعليقها، كما أن الحفريات أثبتت أن الموتى يقبرون ولا يتركون مهملين وللجثث وضعان متميزان حيث تطوى على نفسها وتسند على الجنب أو الظهر، وأحيانًا يعثر على عظام مسجاة بدون انتظام، وليس بها اتصال والظاهر أنها كانت طقوس إعادة الدفن التي كانت تجري بعد أن تتخلص الجثة من اللحم، وهو ما تشير إليه حفريات كلومناطة (تيارت) ما يشكل آثارا جنائزية حقيقية بالجزائر.(شنيتي، 2007، الصفحات 79-76)

وعبر هذه المعطيات الوصفية وجدنا أن لموقع الجزائر الاستراتيجي عبر العصور دورًا كبير جدًا في اكتساب المجتمع موروثًا ثقافيًا واجتماعيًا، لأنها محور تقاطع لعدة حضارات وفدت إليها أثَّرت وتأثَّرت بما يحمله المجتمع من تراث شعبي ومنها الممارسة الطبية والتقاليد الوقائية العلاجية ويرى ناصر الدين سعيدوني أن الطب الشعبي تشكل مع الكيان الجزائري عبر محطات هي:

1.2- المحطة الأولى:

وهي الفترة القديمة لتكوُّن الكيان الجزائري، وبدأت منذ فجر التاريخ واستمرت حتى(ق 7م) حيث كانت الجزائر فيها مجالا جغرافيا ينتمي إلى البحر المتوسط، ذو معالم غير محدودة و واقع بشري يفتقر إلى هوية، وعرف بالمغرب القديم فتميزت هذه المرحلة بالوجود الفينيقي منذ (القرن 8 ق)،وكان له تأثير في الجزائر على الصعيد الثَّقافي ولا سِيَما في ممارسة الطب، فكان الإنسان في المغرب القديم يرى أن المرض ما هو إلا عقاب إلهي فكان يمزج في تداويه الأدعية والقرابين للتقرب من الآلهة مع تناول بعض الأعشاب والنباتات للتخفيف من آلامه حسب ما لاحظه وعرفه وورثه من أجداده ويمكن أن نقول أن الممارسات الإستشفائية في تلك الفترة كانت تعكس لنا المعتقدات الدينية في المغرب القديم، حيث ظهر إله الصحة- أشمون - الذي كان يجسد لنا درجة ظاهرة ميل سكان المغرب القديم إلى التعلق بأسماء وعبادة الأجرام الكونية المعروفة بالديانة الشرقية خاصة الفينيقية، لعلهم يجدون تفسيرات لمسببات الأمراض وطريقة علاجها باستعطاف الآلهة بتقديم الأضاحي والقرابين وتناول بعض الأعشاب والنباتات للتخفيف من الآلام، فممارسة الطب في هذه الفترة كانت تعكس لنا نظرة الناس والإكتفاء بالاعتقاد بأن المرض سببه وجود قوى خفية ورهيبة.

وتطور مفهوم الطب عند الرومان الذين تأثروا بالإغريق مع بروز الفلسفة، وتطورت النظريات العلمية مع (الحركة الهيلينية) وظهور - جالينوس وأبوقراط- فرأى بعضهم أن الصحة في توازن بين أمزجة وكلما اختل التوازن ظهر المرض في الإنسان وبالتالي فإن الشفاء يكون عبر الحجامة والأدوية التي تخرج المضرات كالقيء، وباحتكاك المغرب بالرومان نبغ علماء في المغرب القديم مثل الملك– يوبا الثاني- ويعتبر من كبار العلماء والمثقفين الأمازيغ الذين عرفوا "اليرقان"، وكذلك المثقفين

اللاتينيين ممن يملكون سعة المعرفة، ومن أهم الكتب التي ألفها- يوبا الثاني- رسالة عن نبات "أوفورب" نسبة إلى "أوفوربوس" الذي كان طبيب - يوبا الثاني- واشتهر في مجال الطب والصيدلة.

وقد اكتشف دواء ضد السموم قادر على تنشيط الفكر وترويح النفس " وسمي ذلك الطبيب باسم ذلك النبات" Euphorbiau.Euphorbe "، حيث كان "أوفوربيوس" في يوم من الأيام يتنقل في جبال الأطلس عثر على نبات له خواص عجيبة، حيث كان السائل "Suc" الذي يشتمل عليه النبات يقوي النظر ويعطل مفعول سم الحيات والسموم الأخرى، والذي صار يعرف به وتبناه الرومان كما أنه قد وُجد في شمال أفريقيا أكثر من أربعين تمثالا يرمز له كطبيب، وانتشرت معابده في مختلف أنحاء الجزائر حيث وجدت معابده في المدن العسكرية مثل مدينة شرشال، إضافة إلى آثار التبرك من أجل الشفاء على بعض التماثيل والقطع النقدية ظهرت، وعلى عدة أثار رومانية وجدت بالجزائر.

ويظهر لجوء السكان إلى الأطباء الشعبيين من خلال وجود بعض التماثيل التي صورت أطباء يعالجون المرضى، وفي نفس الوقت التقرب ببعض الطقوس من أجل الشفاء ودفع الشر كما وُجِد هناك أطباء بربر حسب ما بينته إحدى الرسومات الفسيفسائية بجنوب (باتنة) والتي هي عبارة عن رسم لطبيب بربري يفحص مريضًا آخذًا بيده، وذلك يعكس ما عرفته بلاد المغرب القديم من نباتات برية استخدمت للتداوي وأبرز هذه النباتات (السيلفيوم siliphium) حيث اكتشف الأطباء القدامى فوائده العلاجية فاستخدم في علاج عدة أمراض كأمراض العيون، والأمراض الصدرية، وأمراض الفم والحنجرة، والأمراض الباطنية، و الصرع و غيرها.

إلا أنه ما إن حل منتصف- القرن 5 م- تراجع التوجه الروماني في المجتمع مما شجع- الوندال- على اجتياح الفضاء الجزائري (عام 431 م) الذي انحصر وجوده في السواحل والجهات الشرقية وعَقِبه الغزو البيزنطي (عام 543 م)، ومع بروز المعارضة البربرية في المناطق اقتصرت الهيمنة البيزنطية على الجهات الشمالية الشرقية للجزائر، حيث امتد من منتصف -القرن 4 م- إلى غاية - القرن 7- إذ ظهر خلال هذا العهد انخفاض في مستوى الخدمات الصحية وتدني المستوى المعيشي وانتشار الفقر خاصة في البادية مما جعل بعض العائلات تتخلى عن أطفالها أو تبيعهم صغارا وفي هذا الصدد يروي- محمد البشير شنيتي- أن ذلك راجع إلى نقص الرعاية الصحية وتفشي ظاهرة الإجهاض بممارسة مختلف الأساليب من سحر، وتناول أعشاب أثرت على صحة المرأة إذ أن عدم الاستقرار السياسي أدى إلى انكماش إقتصادي أدى بدوره إلى تدني المستوى المعيشي وانخفاض في مستوى الخدمات الوقائية والممارسة الطبية.

2.2- المحطة الثانية:

وهي التي تكون فيها الكيان الجزائري وتمتد من نهاية - القرن 1 هـ - 7 م- إلى نهاية -القرن 8 هـ 14 م- حيث عُرِف إثرها هذا الفضاء الجغرافي بالمغرب الأوسط واكتسبت الجزائر خلاله أبرز مقوماتها الإسلامية كعقيدة والعربية كلغة، وسياسيا عاش المجتمع في هذه الفترة في ظل الخلافة الإسلامية وبعد عصر الولاة ظهرت دول إقليمية بالمغرب الأوسط وهي:

- **حكم ولاة بني أمية في القيروان** 122- 157 م / 740 م - 774 .

- **الدولة الرستمية: في تيهرت** 160- 296 هـ/ 776 م - 909 م.

- **دولة الأدارسة**: التي حكمت الجهات الغربية وأسست إمارات في كل من تلمسان و "هاز "و "متيجة" 172-311 هـ 788 م - 923 م.

- **الدولة السليمانية** والأمارات العلوية 173-342هـ/789-95م.

- **دولة الأغالبة**:

وهي التي حكمت الجهات الشرقية: 184- 296 هـ/ 800 م - 909 م. وتعتبر الدولة الفاطمية التجربة الأولى للوحدة المغاربية حيث انضوى تحت لوائها جميع المغاربة، وقد دام عهدها في بلاد المغرب من سنة: 296 إلى 387 هـ- 909 م - 996 م- وخلال هذه الفترة ظهر الطب النبوي وسطعت أسماء ابن سينا وابن رشد وابن زهر الدين استطاعوا أن يسموا بالطب كعلم وفن أولا وبالطبيب كإنسان حكيم غزير المعرفة يدرك العلوم المنطقية من كيمياء وفلك وعلوم النباتات ثانيا فنضجت المهنة والتقاليد الإستشفائية، وأصبح الطب أكثر علمية ومنطقا كما أن الشَّرع الإسلامي صنف الطب من العلوم المستحبة والضرورية للإنسان آخذين بقول الشافعي: {{ لا اعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب}}. حيث كان يتحسر في نفس الوقت على ما ضيعه المسلمون من صناعة الطب في بداية الأمر وذلك بقوله {{ لقد ضيعوا ثلث العلم وأوكلوه لليهود والنصارى، و يعود الفضل في دخول الطب الذي كان آنذاك أحد فروع الفلسفة إلى حواضر إفريقية إلى عهد الأغالبة الذين شهد عهدهم وفود أطباء من العراق إلى القيروان لكن هذا لا يعني أن الممارسة الطبية كانت منعدمة.

ولقد شهدت قلعة بني حماد تطورا في مجال الطب ومن مظاهر تطوره في القلعة بروز أطباء كبار منهم: أبو جعفر بن علي البذوخ (ت 575 هـ/ 1079 م) المعروف بابن "البذوخ القلعي" الطبيب الذي جمع بين الطب والصيدلة، ورحل إلى المشرق واستقر بدمشق له كتب لا تزال مخطوطة منها "حواشي على كتاب القانون لإبن سينا"، و"شرح الفضول لأبي قراط في أرجوزة وكتب "ذخيرة الألباب في الباءة" و"لطائف الأنوار في الطب"، وعن تطور الأدوية والطب في قلعة بني حماد نجد نص "الإدريسي"يبين لنا أنه "بهذه المدينة عقارب كثيرة سوده تقتل في الحال وأهل القلعة يتحرزون منها ويتحصَّنون من ضررها، ويشربون لها نبات (الفليون الحراني) ويزعمون أنَّه ينفع لعام كامل، وحكى عن هذه الحشيشة بأنه شربها بعد أن لسعته العقرب فسكن الوجع سريعا، كما أن العقارب لسعته

في سائر العام ثلاث مرات، فما وجد لذلك اللسع ألما، وهذا النبات ببلد القلعة كثير فمن خلال ما أورده (الإدريسي) يتضح مدى تطور وازدهار الطب في القلعة، حيث كانوا على دراية كبيرة بأسرار النباتات العلاجية.

3.2-أما المحطة الثالثة:

فتمتد من نهاية - القرن 15 م- إلى بداية - القرن 19 م- عرفت فيها الجزائر ترسيم كيانها وحدودها وتكونت بما يعرف بالأيالة الجزائرية، ولقد اتسمت هذه الفترة بتوافد أجناس عديدة إلى الجزائر وتغير البنية الاجتماعية والعمرانية والأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومنها الصحية فممارسة الطب ودراسة الوضع الصحي خلال فترة الحكم العثماني مرتبطة بالمستوى المعيشي الوضع الاقتصادي من غنى أو فقر الذي كان له الأثر على الوضع الصحي خاصة والسياسي والاجتماعي عامة، فقد جاء تكون الأيالة نتيجة عوامل داخلية وخارجية وصراعات حادة كانت الجزائر مسرحا لها أدَّت في الأخير إلى التدخل العثماني في الجزائر، وبذلك عرفت إيالة الجزائر عدة أشكال من أنظمة الحكم السياسية، عبر فترات تاريخية محددة:

الفترة الأولى: هي فترة حكم (البيلار ياتي أو باي البايات)، واستمرت من(1518 إلى 1588) تميزت باستقرار الحكم التركي في الجزائر والارتباط المباشر بمركز الخلافة العثمانية.

الفترة الثانية: وهي فترة حكم (الباشاوات) والتي امتدت من (سنة 1588 إلى سنة 1659) وحددت مدة حكم الباشا بثلاث سنوات.

الفترة الثالثة: فترة حكم (الأغاوات)القصيرة، وتميزت بالفوضى و الاضطراب.

الفترة الرابعة: فترة (الدايات) التي بدأت (سنة 1671) وامتدت إلى غاية الاحتلال الفرنسي الجزائر، وتميزت باستقلالها السياسي الفعلي عن سلطة الباب العالي.

لقد تمثلت هذه المحطة بانخفاض المستوى وظهور أزمات ديموغرافية وتفشي الأمراض والأوبئة فاختل الوضع الصحي، وأصبح الطب مرآة لعصره وانفتح المجال وظهرت ممارسة الطب وكأنها مزيج من تقاليد فوجد الطبيب والمشعوذ والطالب والراقي والحلاق الجراح والعشَّاب، كل له رؤيته وخبرته وما يحمله من علم أو وراثة من أجداده فظهر الطب التقليدي أو الطب الشعبي، وعرف الطب بعض الدخلاء على المهنة الذين استغلوا العامة يعرضون خدماتهم في الأسواق، فامتهن الحلاق مهنة طبيب الأسنان وامتهن بعضهم"الختانة"، والبعض الأخر الحجامة والبعض الآخر الجبر وعمت الخرافات والاعتقادات خاصة في الصحة النفسية وأضحت مقابر الأولياء والصالحين مقصد بعض الناس خاصة الذين كانوا يعانون من أمراض مزمنة استعصوا علاجها.(عثمان.، 2015،ص ص 02-18)

وفي هذا الصدد نجد أن النظر إلى زيارة (الصلحاء) في الجزائر في هذه الفترة " لا يعدو أن يكون شكلا من الأشكال التي تتجلى تحتها صورة الإسلام، فميل البربر القدماء إلى السحر والتقديس الذي يحيطون به سحرتهم وساحراتهم لا باعتبارهم بقايا من السحرة السوقيين، وإنما باعتبارهم رسلا وعرَّافات ورهبانًا" كنظرة المورو القدماء للنجوم وتقديرهم للآلهة والرسل وخاصة للعرَّافات اللواتي كن يتنبأن بالغيب على شاكلة وسطاء الوحي والكهَّان القدماء، لقد كان المغرب الكبير على مر الزمن للمسلمين بمثابة أرض للسحرة، بطرق لافتة للنظر بدافع ديني، ومنطلقهم الساقية الحمراء لينتشروا من عمق المغرب إلى كل أنحاء شمال إفريقيا وأسَّسُوا قبائل مزاريه موازية لقبيلة أولاد سيدي الشيخ والممتدين فقط في الجنوب الجزائري، وهم كذلك (بوهلان وو غليزان وتلمسان والمغرب).(عمر، 2014،ص ص25-27)

إن فترة الحكم العثماني للجزائر والتي تمتد من (1519 - 1830 م) قد عرفت فيها الجزائر تدهورا للوضع الصحي، والذي بدوره مكن من ظهور الممارسات التقليدية للطب الشعبي وهو ما توضحه لنا فترة حكم الدايات:

"أثناء العهد العثماني، لم تهتم حكومة الدايات في الجزائر بميدان التعليم وتركته للعامة ولم تشجع المجتمع على الثقافة، ولم تهتم ببناء دُور التعليم فانخفض المستوى الثقافي وأهمل الأتراك التعليم في كامل القطر الجزائري، فانحدرت مازونة وبجاية وتلمسان وتيارت التي اشتهرت بالعلم والعلماء في العهد الإسلامي حيث كانت بها دور العلم والمدارس وكان ميدان التعليم والرعاية الصحية بالنسبة للحكام العثمانيين من الأمور الثانوية، فكانوا كثيرا ما يلجؤون إلى المداواة بالطرق التقليدية أو يعتمدون على الشعوذة أو السحر أو الزيارات أو حمل التمائم أو استعمال الرقية أو الأحجبة، ولم تكن هناك مستشفيات ماعدا مستشفيات المنظمات الدينية المسيحية التي اهتمت بمرضاها من الأسرى المسيحيين، إذ يذكر - لوجي دو تاسي Tassy(de)Laugier- في هذا الصدد قائلا «لا نرى طبيب واحد، لا في مدينة الجزائر و لا في باقي الولايات». كما يذكر مورغان (Morgan) أيضا أن بلاد الجزائر ليس بها طبيب". (يمينة، صفحة 84)

إلا أن هذا الأمر يخالفه (أ.ف.شونبيرغ) في كتابه المعنون بـ"الطب الشعبي في الجزائر في بداية الاحتلال"حيث يرى أن الأوروبيين يدَّعُون أنه لا يوجد أطباء جزائريين بالجزائر وأن هذا الإدعاء خاطئ كل الخطأ، فقد كان للداي الأخير طبيب أول يتردد عليه كثيرا ولكنه لم يتركه يعالجه أبدا وقد فعل حسنا لأن هذا الرجل فيما يقال كان يقرأ بصعوبة، ولكنه لم يكن يحسن الكتابة بشكل جيد ورغم ذلك فقد كانت له الكلمة الأخيرة في الأحوال القضائية الطبية، وكان رأيه حاسما في قضايا القتل الناتج عن إلحاق الجرح بأحد، ونوع الوسيلة التي استعملت فيه ولم يكتف بهذا وإنما كان هو الذي يجيز كل أطباء البلاد في مقابل مبلغ زهيد لا يتجاوز أربع قروش، وأغلبهم لا يحسنون الكتابة والقراءة ويبدؤون

في الغالب بالحجامة مثلما هو الحال في عدد من البلدان الأوروبية، فإذا وُفِقوا في ذلك بدؤوا بمزج المراهم وَوضعِها فوق الجروح، وحين ينجحون في معالجة شخص ما ينتقلون إلى معالجة الأمراض الداخلية ويأخذون إجازتهم فيها، وفي استطاعتهم بعد أن يوزعوا الأدوية إن هم أرادوا ذلك ويستعملون في معالجة الحمى القوية "الكينيين" في جميع الحالات، وكثيرا ما يضيفون إليها الترياق ويقدمونها على شكل أقراص كبيرة، وتكثر في الجزائر الأمراض الصدرية، والسل ويتم علاجها عن طريق استعمال السوائل النباتية والمستحضرات البلسمية.(داوود، 2004،ص ص 49-47)

ومن خلال المعطيات السابقة نجد أن اعتماد المجتمع الجزائري على الممارسات البدائية في طلب الشفاء، تبرز اهتمامه بالمجال الطبي بالرغم من كل الماسي والظروف التي واجهها خلال المحطات التاريخية التي شكلت العديد من الأزمات الصحية بالمجتمع، التي استخدم فيها أساليب للشفاء بشكل بسيط، يعكس التنظيم الثقافي الموروث الذي يحقق له عوامل الشفاء، والتي نلخصها من خلال أهم العوامل التقليدية الموجودة كعلاج للجسد العليل بممارسات شعبية كالتالي:

3- عوامل الشِّفاء في طرق العلاج التقليدية من وجهة نظر أنثربولوجية:

يقول "أمين رويحة" إن عوامل الشفاء ليست موجودة في الأدوية فقط، بل إن أهمها وأكثرها فاعلية يكمن في الجسم نفسه، وهي عوامل تحافظ على صحة الجسم السليم من الأمراض وتعيد الصحة إليه حينما يصاب بالمرض.

1.3- عوامل ذاتية بالجسم:

وفي كل جسم طبيب ذاتي لا يخطئ التشخيص مطلقا، وصيدلية تحوي العديد من العوامل الشافية من الأمراض، فعندما يصاب عضو في الجسم فيجرح أو يمرض ويمتنع عن الحركة تتصرف الطاقة الحيوية في العضو المصاب لمكافحة الأضرار التي نجمت عن الإصابة، وعلى سبيل المثال إذا أصيب الجسم بخراج في جزء من أجزائه، فإن الأوعية الدموية والشعيرات تتسع في المنطقة وتزداد كمية الدم فيها، ويحمل هذا الدم العوامل التي تقضي على الجراثيم وسمومها.

2.3- عوامل متعلقة بالمعتقدات والطبيعة والخرافة:

وهناك بعض الدراسات التي اهتمت بجسم الإنسان ودورة الحياة التي يمر بها، وبمعتقداته حول جسمه، وما قد يصيبه وبممارساته العلاجية لحماية بدنه وشفائه في حالة المرض، والتي اهتمت بوضع العديد من التساؤلات العلمية حول العادات والمعتقدات والتقاليد الشعبية لدورة الحياة وما يتعلق بها من إجراءات وممارسات، فعلى سبيل الذكر لا الحصر (التَّحْوِيطَات والأحراز وأعمال الفَاسُوخَة والطقوس) التي تتبع لزوار الواضعة والشعائر التي تسهل عملية الوضع والرعاية الطبية

والسحرية للطفل كالأحجبة في حالة الفطام، والتسنين وجميعها أمثلة عن ممارسات الطب الشعبي ويؤكد محمد الجوهري أنه يوجد مجموعة من المعارف الشعبية التي تدور حول الجسم الإنساني وأجزائه، وهي جزء من المعتقدات الشعبية التي تشمل السحر والأولياء والأحلام والكائنات الطبيعية والأنطولوجيا الشعبية، ويعد الطب الشعبي وممارساته الجزئية ضمن سلسلة من المعتقدات كالعلاج بالكي، والعلاج بالأعشاب، والعلاج بالرقية، والعلاج بالزار (الزار هنا كطقس ومعتقد) والجانب الحركي من الزار يدرس تحت بند الرقص، ويشمل المعتقدات الدائرة حول الإنسان وتدل صفة الشعبية على المعتقدات التي يؤمن بها شعب، فيما يتعلق بالعالم الخارجي والعالم فوق الطبيعي والمعتقدات والطب الشعبي جزء من التراث الشعبي الذي يعد من أهم المعطيات الثقافية التي تحدد هوية الإنسان ماضيه وحاضره وتخطط مستقبله، وأحيانا جزء من الطب الشعبي يتم نقله شفاهة، فالتراث مستودع تودع فيه الشعوب ثقافتها وخبراتها التي تتراكم على مر العصور كأنه وسيلة لتسجيل معارف الإنسان وتصرفاته وهناك تصنيف آخر للطب الشعبي.

- أولا طب شعبي طبيعي وعقلاني:

يتناول التداوي بالأعشاب ويضم العلاج بالممارسات اليدوية كالكي والتدليك والتجبير والحجامة والفصد والوشم.

- ثانيا طب شعبي روحاني (أو غيبي):

كاللجوء إلى الدين أو السحر والشعوذة أي القوى غير المرئية، والطب الشائع هو طب شعبي اعتمد في اغلبه على مصادر مكتوبة واتخذ صفة تجارية، وأبرز مظاهره النوع المعروف في أمريكا (Chiropractice)، وهو أسلوب في العلاج يعتمد على تقويم العمود الفقري باليد ويقبل الناس بكثرة على هذه الوسيلة الطبية والتي تشبه إلى حد كبير مهنة التجيير عند العرب. (الجوهري، علم الاجتماع الطبي، 2009،ص ص 80-81).

4- الطب الشعبي والطب الحديث:

1.4- الطبيب الأكاديمي والمطبب الشعبي من ناحية أنثروبولوجية:

على الصعيد الاجتماعي والأنثروبولوجي يعمل الطبيب والمطبب كما لو أنهما شخصان فاعلان يفترض فيهما أنهما يعرفان ويشفيان. وبذلك نجد:

- **أن شرعية الأول**: تضمنها إقامة طويلة على مقاعد الجامعة، والحصول على شهادة، بينما يضمن **شرعية الثاني**: إنغراسه في داخل جماعة بشرية ما، وشبكة الهمسة في الأذن القابلة لأن تغذي جماعة حول افتراض فعاليته.

إنّه التعارض التقليدي بين الثقافة العالمية والثقافات الشعبية التي لا تستمد من نفس الأسر المنطقية الاجتماعية ومع ذلك، فإن هذه اللوحة تم تجاوزها اليوم نتيجة بروز ممارسين جدد تقع شرعيتهم كمعالجين في منتصف الطريق بين هذين النمطين يميزه الإعتراف الاجتماعي، لقد استفاد هؤلاء الأشخاص المنحدرين في أغلبيتهم من الطبقات الوسطى المدنية، من أسلوب الهمسة في الأذن الشديدة الفعالية في جذب الزبائن، ومن العلوم الطبية الموازية بنفس الوقت، وكذلك امتلاكهم لشهادة جامعية مثل (الوخز بالإبر، الطب التجانسي) أو غير جامعية (طب العظام.، لمعالجة الفقارية، التدليك) وهي بذلك جمع من شروط التوافق الاجتماعي، واستثمار شخصي قوي لدى أولئك الذين يلتمسون الشفاء بها، لأنها تكلفة مرتفعة لا يأخذها صندوق الضمان الاجتماعي بعين الاعتبار أو يعوض نفقاتها بشكل غير كامل بإدراج المريض في سيرورة البحث عن الشفاء إذ أنه بالإمكان التفكير بأنها تعني أكثر من إرادة الشفاء لدى المريض من خلال الجهد الأكبر الذي تطلبه منه. (صاصيلا، 1997، ص ص 191)

حيث كشفنا من خلال ميدان دراستنا أن المجتمع الجزائري يرى أن:

- **شرعية الطبيب الأكاديمي**: تكمن في ثقة الناس بشهاداته الأكاديمية وأختامه التي يحملها ويضعها على الوصفات الطبية ونصحه بكيفية تناول الدواء وفتراته، وبالرغم من ذلك يلجأ الناس للطب الشعبي إن عجز الأكاديمي عن علاج المريض أو لم يعجز، كون أول محاولة لمواجهة المرض تبدأ بممارسات علاجية منزلية كالعلاج بالأعشاب ومستخلصاته، والمسد وتضميد الجراح بوضع الأعشاب لإيقاف نزيف الدماء أو غير ذلك.

- **وشرعية المطبب الشعبي:** تكمن في شهادات الناس وتجاربهم وممارساتهم وخبرتهم التي يداولونها فيما بينهم، ويتناقلونها شفاهة وكتابة ما يجعل من الثقة في العلاج والمعالج تنظيما ثقافيا قوامه المعتقدات والأعراف والقيم التي يحملها المجتمع حلال تنشئته الاجتماعية فعلى سبيل المثال من وجدناهم يعالجون بالرمال الحارقة، إذ يؤكد مستخدموها أن علاجها فعال ومفيد وبدون عوارض جانبية كالأدوية الطبية الحديثة وهذا بشهادة الناس الذين شفوا من العديد من الأمراض والآلام الجلدية والمفصلية و حتى أعصاب الجسم لما لها دور في تفتيح مسام الجسم وإخراج الأمراض منه وهو كذلك بالنسبة لمختلف الممارسات العلاجية الشعبية والتي تمارس بالمنزل وتُطلب من المعالجين الشعبيين، كما أن المعالج الشعبي أكثر قربا للمريض من الطبيب الأكاديمي الذي يعامل مريضه معاملة جافة خالية من المشاعر والأحاسيس، وينظر إليه كجسد مريض ومجموعة من الأعضاء في حين ينظر المعالج الشعبي إلى مريضه كإنسان يعاني، له مشاعر يجب مراعاتها وأحاسيس تبرز معاناته مع المرض، حيث يبدو المريض أكثر ارتياحا مع المعالج الشعبي الذي يتبادل أطراف الحديث مع مريضه وكأنه معالج نفسي في حين يختصر الطبيب السؤال عن الأعراض وما أصاب المريض ويلامس الجسد

بمعداته ويكتب وصفته، وهو ما تعبر عنه العديد من الحالات المرضية التي ترفض الجدران الأكاديمية، وتتقبل البيوت والمنازل العلاجية لأنها مكان للطمأنينة كونها أقرب إلى منازلهم وأكيد خروجهم وعودتهم إلى ديارهم في حين الأولى كالمستشفى قد تعني اتخاذ إجراءات المبيت ضمن الجدران الأكاديمية بقوة القانون وهو ما عبرت عنه العديد من الحالات كتقييد للحرية كما عبر عنه آخرون بقيامهم بعملية الهروب من المستشفى لأنه لا يرتاح ببقائه داخله.

2.4-الطب الشعبي تحت مجهر السخرية من الطب الحديث"وجهة نظر أنثروبولوجية":

"بالرغم من أهمية الطب الشعبي بالمجتمع العربي وما تحمله الشواهد التاريخية إلا أنه كانت هناك فترات بعدم الإعتراف به كطب وبالمعالجين الشعبيين كأطباء لعلاج المرضى للتقليل من قيمته كممارسة علاجية بديلة للطب الأكاديمي، وهو ما حدث بالمجتمع الجزائري بمجيء الإستعمار (سنة 1830) وحدوث صدام بين ثقافتين مختلفتين بكل المقاييس، وفي هذا الصدد حدثنا "دافيد لو بروتون"عن وضع قانون (سنة 1892) ينظر للعلاج البديل نظرة:

"السخرية و الخرافة أو الجهل" وهي عبارة عن أحكام وقيم تتجاهل وتفضح الاختلافات في رؤى العالم لكنها بشكل خاص تقطع الصلة مع المريض الذي لا يشعر بأنه محترم أو معترف به، إن الطبيب حينَئذٍ يقطع سير الرَّمز ويحرم نفسه من مورد أساسي فحتى لو أن الطب لم يكف عن التعثر بعدم قابلية الرَّمز لأن يقهر، فإنَّه لم يتصدى مطلقا للتحدي بصفته علما وهنا يكمن السبب الرئيسي لفشله في فرض نفسه بطريقة اجتماعية منذ أن ترك له قانون (عام 1892) فهو لم ينجح مطلقا، بعد خضوعه لاختبار الوقائع في إقناع مختلف العناصر الاجتماعية بالأساس السليم لهذا الإحتكار، إن افتراض الجهل المطبق على المريض أو على العلوم الطبية الأخرى التي لا تراقبها هو الذي يضمن للمؤسسة الطبية يقين ورفقة معرفتها، ويغذي أيضا تحفظات وهروب الزبائن الذين يبحثون في مكان آخر عن فهم أفضل، وهنا يكمن في رأينا العيب الأكثر انغرسا والأكثر حسما للمؤسسة الطبية العيب الذي ميز موقفها في نهاية - القرن التاسع عشر- وخلاله اتجاه أشكال الطب الشعبي واليوم اتجاه العلوم الطبية والعذبة، إننا نجد هذا العيب أيضا في البلدان المسماة بالعالم الثالث حيث وَلَّدَ عدم الفهم أمام التقاليد والسكان المحليين غالبا أخطاء، وجعل الإتصال صعبا أحيانا مع المرضى فبدون البحث عن فهم متبادل مع المريض، وبدون إقامة نوع من التواطؤ يُعرِّض الطبيب معالجته الموصوفة لعدم الفعالية، إن الطب يدخل في نطاق الفن بقدر ما يدخل في نطاق العلم وميدان معرفته وعمله إذا لم يتحرك بحساسية، وإذا عمل كفهرس لوصفات لا مبالية فإنه يقطع نفسه عن المعطيات الأنثروبولوجية ويصبح مليئًا جدًا بالمعرفة التي تشكل شاشة للنبض الحميم للأوضاع المختلفة، إن

الخط كموجه رمزي لا يعمل إلا بناء على أسلوب شخص الطبيب أو على التقنية والطلب، والمعروف عن تقبل الأدوية من قبل المريض يرتبط غالبا بقصور في العلاقات إن الدواء يأخذ مكان الاستماع أو الإتصال الذي لا يعطي الوقت الكافي الذي يرضي المريض ويعترف به في ألمه، وهنا يعاد البعد الرمزي من خلال هذا اللجوء بطريق التهريب. (صاصيلا د، 1997، ص ص 190-189)

5- نتائج الدراسة: إن ما لمسناه من ميدان دراستنا حول أفراد المجتمع الجزائري بيَّن أن وجود نظام معرفي طبي وشعبي، لدى فئات وذهنيات تحمل معتقدات وممارسات تساهم في استمراره إثنيات متميزة ومؤثرة كونها:

- تسمح بخلق ترابط ذهني وعملي بين مختلف فئات المجتمع والمعالجين بتبادل الأدوار بطرح أفكار العلاج بين مجرب سابق ومصاب جديد.

- النظام السائد في التعاملات مع المعالجين وبائعي الأعشاب في تقديم طرق العلاج ووصفات أعشاب المقادير العلاجية فيها هي ميزان العين أي أن العين تكيل المقادير المطلوبة لعلاج المرض كذلك قبضة اليد وكذلك الفنجان والمكيال والملعقة كوصفات الطبيب الأكاديمي في عملية خلط الأدوية العشبية التي سيتم تناولها.

- هو تنظيم ثقافي طبي من خلال ما يؤديه من دَور وَوظيفة في عملية التقارب الاجتماعي بين الناس والمعالجين في أماكن العلاج التقليدية أو أماكن العلاج التي اتخذت الشكل الحديث في ممارسة العلاج الشعبي، تحت مسمى العناية الجسدية كالعلاج بالعلق، والنار، والإبر الصينية في مراكز خاصة، كما يسمح بعمليات التواصل الفكري بين الناس في طرح مشاكلهم الصحية، ومناقشتها على ضوء البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها بعيدا عن الطب الحديث والمعتقدات الأكاديمية بالحبر والورق.

- المشاركة الشعبية في ممارسات التطبيب والتي تشكلت كتنظيم مستمد من ثقافة الناس وممارساتهم المتبادلة كاستغلال المجتمع المحلي للبيئة الصحراوية لحل المشاكل الصحية كعلاج مرض" ناموسة بسكرة"، حيث ساهم ذلك في نشر الثقافة الصحية واستمرارها بين الناس، إذ يظهر ذلك تنظيم من خلال مختلف المعاملات التطبيبية المتداولة والوصفات العلاجية بين الناس في علاج أمراضهم، كما أظهرت النتائج أن التكيُّف مع المشكلات الصحية أبرز تفاعل النَّاس مع بعضهم ومع محيطهم الإجتماعي، بتبادل الإستشارات التطبيبية التي عبر عنها أفراد مجتمع البحث على أنها رِضى وقبول بالحلول العلاجية أملاً في الشفاء وعدم الإستسلام للمرض، وإن لزم الأمر التنقل من معالج لآخر داخل المدينة وبالقرى والمداشِر، كما أن الخبرة المكتسبة والقيم والعادات المتوارثة، ساهمت في إحداث تنظيم وظيفي بالمجتمع ظهر في صورة تمثُّلاَت أفراد المجتمع للممارسات العلاجية، حيث كانت

مفاهيم الدراسة كالتطبيب الشعبي وثقافة التطبيب بالمجتمع معبرة عن المعارف المكتسبة حول الصحة والمرض، والمُفعَّلةِ داخل وخارج الأسرة.

خاتمة:

لا زالت بالمجتمع الجزائري إلى يومنا هذا ممارسات شعبية علاجية تحمل في مظاهرها ثقافة ووعي صحي بأهمية مواجهة الأمراض بالعديد من الطرق التي تمكن من المحافظة على سلامة أفراده حسب الرغبة والطلب، بالرغم من تواجد الطب الحديث إلا أن الطب الشعبي أخذ شكلاً أكاديميًا في أغلب مظاهره جذبًا لرافضيه ووعيًا بأهمية ممارسة الطب الشعبي بشكل سليم كعيادات الحجامة والكي تحت مسمى العناية الجسدية.

قائمة المصادر والمراجع:

أ.ف.شونبيرغ ترجمة ابو العيد داوود. (2004). *الطب الشعبي في الجزائر في بداية الاحتلال* (المجلد الطبعة الاولى). الجزائر: وزارة الثقافة،مديرية الفنون والاداب الجزائر.

ادموند دوتي ترجمة محمد ناجي بن عمر. (2014). *الصلحاء مدونات عن الاسلام المغاربي*. المغرب: دار النشر افريقيا الشرق المغرب.

بوحجرة عثمان. (2015). *الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519 - 1830 م (مقاربة اجتماعية)رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث*. الجزائر: جامعة وهران 1 احمد بن بلة قسم التاريخ وعلم الاثار.

دافيد لو بروتون ترجمة محمد عرب صاصيلا. (1997). *انثروبولوجيا الجسد والحداثة* (المجلد الطبعة الثانية). بيروت: لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

دافيد لو بروتون محمد عرب صاصيلا. (1997). *انثروبولوجيا الجسد والحداثة* (المجلد الطبعة الثانية). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع الحمراء.

ك .إبراهيمي ترجمة محمد شنيتي. (2007). *تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر. الجزائر*. الجزائر: وزارة الثقافة.

مجاهد يمينة. *تاريخ الطب في الجزائر في ظل الإستعمار الفرنسي 1830 – 1962 اطروحة دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر*. الجزائر: جامعة وهران 1 احمد بن بلة.

محمد الجوهري. (2009). *علم الاجتماع الطبي*. مصر: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

محمد الحاج قاسم محمد العربي. (2020). *البيئة والأوبئة في التراث الطبي الإسلامي* (المجلد الطبعة الأولى). دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد الحاج قاسم محمد العربي. (2020). *البيئة والأوبئة في التراث الطبي الإسلامي* (المجلد لطبعة الأولى). الموصل العراق: دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع.

محمود محمد غانم. (1983). *بحوث وتجارب في الطب الشعبي* (المجلد الطبعة الاولى). عمان: مكتبة الشباب.